المشهدُ الثقافيّ في حوز آريسَ القديمةِ بأوراس ودوره في التدافع الحضاريّ 1830 – 1954

The Cultural Scene in Ancient Haouz Aris in Ouras and its Role in the Civilisational Clash (1830-1954)

أ/ عبد اللطيف بورمل

جامعة منتوري – قسنطينة (الجزائر)

abdellatifbourmel87@gmail.com

تاريخ الإرسال: 2023/01/19 **تاريخ القبول: 2023/01/30**

ملخص:

في النصف الأول من القرن 19 الميلادي احتل الفرنسيون الجزائر؛ توسعا في المجال الحيوي، وتغذية لآلة الصناعة الأوروبية ... إلخ. فزيادة على إبادة الأهالي واستعبادهم وتوطين المعمرين، واستنزاف الثروات والموارد عمل الفرنسيون على طمس الهوية الوطنية وذلك بمحاربة مقومات الأمة الإسلامية؛ من دين ولغة وتاريخ، واستمر الحال على ذلك جبرا وعسفا ... قرنا ونصفا، وكاد شعب الجزائر ينسلخ من شخصيته لولا أن تصدت كثير من الزوايا لتثبيت الإسلام والعربية والذاكرة الجماعية في نفوس الجزائريين؛ كان من ثمراتها المقاومات الشعبية؛ حتى النصف الأول من القرن 20 م ظهرت الحركة الوطنية، وتأسست جمعية العلماء المسلمين الجزائريين؛ التي قامت بواجب التربية والتعليم والإصلاح والتوعية بما أتيح لها من فرص، وتوسع نشاطها ليشمل أغلب مناطق البلاد، ومن نتائجها ثورة التحرير الكبرى. ومن تلك الجهود نشاط الطريقة الصوفية الخلوتية الرحمانية، وشعبة الجمعية في حوز آريس القديمة بأوراس، ودورها في الحفاظ على الهوية، والثورة على الاستعمار.

الكلمات المفتاحية: المشهد الثقافي، آريس، الأوراس، التدافع الحضاري، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين.

***Abstract*:**

In the first half of the 19th century AD, the French occupied the homeland of Algeria; expanding in the vital field, feeding the European industrial machine...etc. In addition to the extermination and enslavement of the people, the settlement of the centenarians, the depletion of wealth and resources...etc., the French worked to eliminate the national identity by fighting the elements of the Islamic nation; like religion, language and history, and the situation continued on that way by force and abuse ... a century and a half. People of Algeria would almost shed their personality, had it not been for the fact that many angles confronted to the establishment of Islam, Arabic and the collective memory in the souls of Algerians; Among its fruits were popular resistance; Until the first half of the 20th century, the national movement emerged, The Association of Algerian Muslim Scholars was founded; which carried out the duty of education, reform and awareness ... etc.; With the opportunities afforded to it, and the expansion of its activity to include most regions of the country, and one of the results of the Great Liberation Revolution. Among these efforts is the activity of the Sufi Order, the Khalwatiyya Rahmaniyya, and the Society's division in the ancient Ariss estates in the Aures, and its role in preserving identity and revolutionizing colonialism.

keywords: Cultural Scene, Aris, Ouras, Civilizational Clash, Algerian Muslim Scientists Association.

مقدمة:

في العصر الحديث؛ وفي مطلع ق 19م كان الشعب الجزائريّ جزءًا من الأمة الإسلامية؛ التي تعيش مرحلة ما بعد الحضارة الأولى؛ في مشهد ملؤه نوعان من العفن: الاستعمار والقابلية للاستعمار؛ استعمار مستبد وجشع تحكمه البراغماتية الذرائعية النفعية ومستعمَر هو إنسان ما بعد دولة الموحدين، وبقايا أمة استمر الفرنسيون في إبادتها 132 سنة؛ هذا الإنسان يعيش الجهل والذل والعبودية والقهر والوهن ... إلخ، وتحكمه العادات القاتلة والتقاليد المميتة؛ ليجد نفسه من الأهالي؛ من سكان الجزائر المستعمرة الفرنسية، وكل التدافع الذي حدث في النصف الثاني من ق 19 والنصف الأول من ق 20 م من ثورات وحروب وتعبئة لأسبابها؛ إنما كان كله يدور حول محور هٰذه الثنائية؛ الاستعمار والقابلية للاستعمار. ولقد تنبه الشعب الجزائريّ مبكرا بقيادته الروحية إلى الصراع الفكريّ، ومحاولة

الاستعمار تثبيت وجوده في الجزائر؛ بطمس ومسخ مقومات الهوية الجزائرية؛ من دين ولغة وتاريخ ... إلخ؛ فكانت المدرسة الصوفية؛ التي جند شيوخها مريديهم لصد الفرنسيين؛ مثل مقاومة الأمير عبد القادر بن مُحيي الدين الحسنيّ ... إلخ، واستمرت الثورات الشعبية متفرقة لمدة قرن من الاحتلال، ثم ظهرت الحركة الوطنية في مطلع ق 20 م، ومنها المدرسة الإصلاحية؛ ممثلة في جمعية العلماء المسلمين الجزائريين؛ فرع جامع الزيتونة؛ حين عمل علماء الهداية الشرعية على تثبيت الفكرة الدينية في الشعب الجزائري؛ بالتربية الإسلامية الصحيحة، وتقويم المسار؛ بالاستثمار الأمثل في الفرص والوسائل المتاحة؛ كالخطاب المسجديّ والمدارس الحرة والصحف والنوادي ... إلخ؛ لتغيير الوضع القائم على البدع والتبعية والجمود والجهل والخرافة والسكون والغثائية والتفويض والتقليد الأعمى ... إلخ وبناءِ مسلمٍ حُرِّ التفكيرِ صحيحِ العقيدةِ فعّال الإنجازِ مستقيمِ السلوكِ واعِي العقلِ؛ كانت ثمرة تلك الجهود جيلُ ثورة التحرير الوطنية 1 نوفمبر 1954م.

في جو هذا الشعور بالهم الحضاريّ والغفلة عنه ظهرت في حوز آريس القديمة بجنوب أوراسَ زمن الاستعمار الفرنسيّ للجزائر مدارسُ تصدت لرسم ملامح المشهد الثقافيّ والفعل الإصلاحيّ بها، وخاضت نوعان من الصراع مع الآخر؛ العسكريّ والفكريّ؛ في وقت تصدت فيه الحضارة الغربية لتوجيه دفة السفينة الإنسانية. ولا زالت الجحافل العلمائية مرابطة على ثغور الداخل والخارج، واستمر هذا التدافع حتى ما بعد جلاء العسكر الفرنسيّ من الجزائر عام 1962م.

1- حضورُ الزاويةِ الدَّرْدُورِيَّةِ الرحمانيةِ بحوز آرّيس القديمة جنوب أوراس:

بداية من ق 17م انتشرت الطريقة الرحمانية على يد محمد ابن عزوز الحَسنيّ (1170 1233هـ /. 1757م – 1818م) وأبنائه وتلاميذه؛ في جنوب شرق وغرب أوراسَ والزابَ فظهرت عدة زوايا تمارس التربية السلوكية، وتلقن علوم الهداية الشرعية، وهي: زاوية أولاد جلال، وبرج ابن عزوز، وتيبرماسين، وخنقة سيدي ناجي، والدردورية في الوادي الأحمر ووادي عبدي، والدشرة الحمرا في الوادي الأبيض، وطولقة، ونفطة على تخوم تونس؛ قامت بوظيفة الأمن الفكريّ، والحفاظ على الموروث الحضاريّ؛ من ثقافة وقيم الأمة الإسلامية وتثبيت الهوية الوطنية؛ وقوامها الدين الإسلاميّ، واللغة العربية، والتاريخ المشترك، وخاض شيوخها ومريدوها الثورات الشعبية على الاستعمار الفرنسيّ[1].

ومن أهم مظاهر المشهد الثقافيّ بدائرة آرّيس القديمة جنوب أوراسَ زمن الاستعمار الفرنسيّ حضور الزاوية الدَّرْدُورِيَّةَ الرحمانية؛ التي كان مركزها في قرية حِيدُوسْ؛ إحدى قرى ثْنِيَّةْ الْعَابَدْ؛ على الضفة الغربية في وادي عَبْدِي، والتي كان عدد الأهالي بها – بحسب إحصاء عام 1876م: 302 نسمة .والدَّرْدُورِيَّةُ نسبة لآل دَرْدُورَ أو الدْرَادْرَة؛ أصل هذه الأسرة أشرافٌ حَسنيون أدارسةٌ؛ قدموا من الساقية الحمراء إلى أوراسَ حوالي عام 803 هـ / 1400م؛ لكنهم لطول مكوثهم صاروا محسوبين على عرش أولاد عبدي الشَّاوِيَّةِ. والدَّرْدُورِيَّةُ إحدى فروع الطريقة الرحمانية بأوراسَ؛ نسبة لمؤسسها الشيخ علي بن عمر دَرْدُورْ الحَسنيّ الرحمانيّ (ت 1292هـ- 1875م) ؛ أسسها بقرية حِيدُوس حوالي عام 1215هـ / 1800م. وكان للزاوية ثلاثة فروع؛ الأول في قرية مَدْرُونَة (مَضْرُونْثْ باللغة الشَّاوِيَّةِ)، والثاني في قرية اثْلَاثْ، والثالث في قرية نَارَة. وبعد وفاة مؤسس الزاوية عام 1875م آلت المشيخة لابنه الهاشميّ بن علي بن عمر دردور الحسنيّ الأزهريّ (1815) جانفي 1899م، ثم تولى شؤون الزاوية بلقاسم ابن أخ الشيخ الهاشمي، ثم علي بن الهاشمي إلى عام 1932م، ثم الأخوان محمد (ت 1946م) (بن منصور) (ت 1932م) (بن محمد، وعبد الله بن منصور (ت 1952م)؛ إلى عام 1942م، ثم محمد الهاشمي بن عبد الله (1923 – 2004 م). وكان المريدون للدَّرْدُورِيَّةِ الرحمانية الْخَلُّوتِيَّةِ يعرفون بـ: "لْخَوَانْ" والمريدات بـ: "الْخَوْنِيَّاتْ"، وهناك من يصنف الدَّرْدُورِيَّةَ طريقة مستقلة تسمي نفسها بطريقة: "لْخَبَابْ"، وهي في الحقيقة رحمانية في جوهرها ولا شك أن"لْخَبَابْ" أو"لْخَوَانْ" كانت معروفة، ولها صدى بعيدا خاصة في الشرق الجزائريّ[2].

درّس هؤلاء الشيوخ بالزاوية الدردورية في حيدوس ومدرونة، وآخرون من أبرزهم الشيخ حب الدين ساعد؛ ولد في حيدوس وتعلم بها وعلّم فيها، وعمر بن محمد دردور.

أما حضور الأدب العربيّ والتأليف والتصنيف في العلوم فنادر لضعف الملكة اللغوية لأن سكان أوراسَ أمازيغٌ لغتهم الأم هي الشَّاوِيَّةُ؛ معيقة بنسبة عن اكتساب ملكة لسان مُضَرَ، ولعدم استقرار الشيوخ بسبب مطاردة الفرنسيين والْقُيَّاد لهم، ولاشتغالهم وانشغالهم بالتربية والتعليم عن التأليف والتصنيف، ولغلبة التقليد على الإبداع؛ من قبل سقوط الحضارة الإسلامية الأولى.

2- تاريخ زاوية الزمامرة ومسجد حِيدُوسْ:

لم يبين كتاب التاريخ المحليّ هل هما واحد ؟ أم أنهما مستقلان ؟ والأرجح أن زاوية الزمامرة كان مقرها في مسجد حِيدُوس، وهو المسمى جامع سيدي أحمد بُوغْرَارَة؛ الذي بني في ق 17 أو 18 م، وربما بناه أحد أجداد عائلة دَرْدُورَ ووَاحْدِي؛ بعد استقراره في وادي عبدي، وليس بعيدا أن يكون هذا الجد هو حِيدُوس بن عبد الله بن أحمد السائح؛ الذي لا شك أن القرية سميت باسمه، وممن قد تولى الإمامة والتدريس فيه: محمد بن أحمد أَمَزْيَانْ الزَّمُّـورِيّ (1823– 1917) (1241 – 1335) لمدة 50 عامًا .ثم خلفه ابنه عبد الرحمن بن محمد بن أحمد أَمَزْيَانْ الزَّمُّورِي؛ الذي قال في ترجمته التي كتبها في: ربيع الثاني 1346 هـ 1927م: بدأت في التعليم على أساتذة برواية ورش منهم الشيخ سيدي محمد بن عبد النبي الأوراسيّ، ثم علي ابن سيدي أحمد بن علي من فرقة جار الله، ثم على أخي لأمي وابن عمي الشيخ سيدي أحمد أَمَزْيَانْ بن الشريف، ثم على أخي الشقيق السيد الصْغِير، ثم على والدي، ثم على أستاذي السيد قساس محمد أَمَزْيَانْ بن أحمد بن الْحَفْصِي الأوراسيّ قال: "... ثم شرعت في قراءة العلم ... وأخذت إذ ذاك من العلوم الدينية [أي علوم الهداية الشرعية] من واجبات التوحيد والفقه، وأتقنت الفرائض وتعلمت العربية وأخذت من بعض العلوم على أساتذة، منهم ... الشيخ البشير بن الصادق الْعُقْبِي، وعلى الشيخ أحمد الْعِيدْ، وأجازني والدي في حياته في التدريس في الفقه والتوحيد والفرائض والعربية والآجرومية والقطر، وأجازني السيد حَمَّ بن سيدي محمد بن عبد الصمد في إعطاء الطريقة للمريدين وفي سنة 1906 شرعت في التدريس فيما أُذِنْتُ فيه في جامع حِيدُوس المسمى جامع سدي أحمد بُوغْرَارَة، وأصلي بالناس الجمعة ... وفي كل فصل الشتاء تجتمع عندي نحو 20 تلميذا، ولازمت المسجد بعهد من والدي ولم أفارقه" وقد ذكر أن والده أجازه للتدريس في: العربية والفرائض والفقه والتوحيد. وممن درّس كذلك في زاوية الزمامرة ومسجد حيدوس الصغير الزموريّ الحيدوسيّ، محمد الصالح بن عبد الرحمن الزموريّ الحيدوسيّ؛ الذي دَرَسَ بالجامع الأخضر في قسنطينة. ويوجد في حيدوس مسجد آخر يسمى مسجد القصر درّس فيه عمر بن علي دردور؛ قبل ظهور الحركة الإصلاحية[3].

3- زاوية وجامع الدشرة الحمرا بآريس:

على الضفة الغربية من الوادي الأبيض؛ كانت تشرف عليها عائلة صالحي، ولها أوقاف تغذي التربية الروحية وتلقين علوم الهداية الشرعية فيها، وهي فرع عن الطريقة الرحمانية بأوراسَ. ومن أهم شيوخها المتعاقبين على تسيير شؤونها: محمد الصالح تَزَرْوَالْتْ، ثم ابنه سِي أحمد أَمَزْيَانْ، ثم ابنه الحاج المكي، ثم ابناه محمد الأمير ومحمد رشيد؛ من تلاميذ الجمعية.

وزاوية الدشرة الحمرا ذات نظام داخلي؛ تستقبل طلبة العلم والمعلمين، وتقوم عليهم بما يلزمهم من مداخيلِ أوقافِ عائلةِ صالحي على الزاوية، وأوقاف غيرهم من أبناء الوادي الأبيض، وكان محمد المولود الزْرِيبِيّ الأزهريّ (1305 – 1344) (1877 – 1925) أحد أهم أولئك الذين دَرَّسُوا في هٰذه الزاوية؛ حيث "دخل آرِّيس، وأقام في قرية الْحُجَّاج وفي قرية الحمراء، وتزوج من القرية الأولى، وجلس للتعليم في القرية الثانية؛ حيث احتضنته أسرة "صَالْحِي" التي تشترك مع أسرته في اللقب وفي النسب "ومن الشيوخ الذين تصدوا للتدريس في زوايا ومساجد مدينة آريس: أحمد الخالديّ القرويّ، والأخضر الخنقيّ العقبيّ والأخضر فِيلَالِيّ والجموعيّ الأزهريّ الزريبيّ، والطيب العقبيّ، والعربي خطراويّ، وعيسى يحياويّ، ونعيم النعيميّ.

ويبدو أن أمر الزاوية آل بعد الجلاء إلى التقهقر؛ شأن الزاوية الدردورية وزوايا أخراة كثيرة؛ توقف نشاطها التربويّ والتعليميّ أثناء ثورة وحرب التحرير، وربما توقفت أوقاف الزاوية عن تمويل نشاطها الثقافيّ، ولذلك نجد محمد الأمير صالحي آخر شيوخ الزاوية بعد الاستقلال بـ: 8 أعوام يكتب رسالة لأفراد فرقة أولاد فَافَه من عرش أولاد داود؛ المتفرقين في البلاد؛ يلتمس منهم المساعدة لترميم الجامع. وقد عاينته، وما بقي من مكتبته؛ التي تحوي كتبا ذات طبعات حجرية، وكتب مخطوطة، ووثائق مهمة ... إلخ[4].

وكانت بحوز آريسَ القديمة زوايا أخراة أقل شهرة، ومنها ذات النظام الداخليّ، وهي: زاوية أحمد بن الصادق في غُوفِي جنوب غَسِيرَة، وزاوية الخرشي في ثْلَاثْ، وزاوية محمد بن بلقاسم في ثْنَيَّةْ الْعَابَدْ، وزاوية ابن عباس القادرية في مَنْعَة. ومنها ذات النظام الخارجيّ وهي: زاوية عبد السلام في تْكُوتْ، وزاوية عمر بن عبد السلام، وزاوية عمر الشريف كلاهما في لَقْصَرْ؛ قرب تكوت بـ 2: كلم، وزاوية سيدي فتح الله الشريف الحسينيّ في كِيمَلْ، وزاوية أحمد ابن عَزَّة (عَزْوِي) في الْحُجَّاجْ، وزاوية ابن بُوبِيشْ في تِجْدَاضْ. والطبقة الأولى من الثوار أغلبهم تربى وتعلم في هذه الزوايا[5].

4- حضور نشاط جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في حوز آرّيس القديمة:

تأسست جمعية العلماء المسلمين الجزائريين؛ في ماي عام 1931م؛ حاملةً لواء التربية والإصلاح والتعليم في القطر الجزائريّ، معتبرة "أنّ تحرير العقول لأساس لتحرير الأبدان وأصل له، ومحال أن يتحرر بدن يحمل عقلا عبدا" ؛ فقصد أبناء الجزائريين الجامع الأخضر في قسنطينة للدراسة على يد عبد الحميد ابن باديس، وقد عرفوه قبل ذلك من كتاباته؛ في البصائر والشهاب والمنتقد.

1.4/ الطبقة الأولى من تلاميذِ حوزِ آرّيسَ القديمةِ في الجمعيةِ:

قصد الجمعية من أوراسَ الجنوبيّ طلبة الطبقة الأولى، وهم: أحمد بَهْلُولِي من بُوزِينَة وأحمد تِيمْقَلِّينْ السَّرْحَانِيّ من كِيمَلْ، وبَلْعَبَّاسْ ابن عَبَّاسْ من مَنْعَة، وبلقاسم زيَّانِي الفَرْحِيّ من عَيْنْ زَعْطُوطْ، والصادق مَلْكُمِي من تَاجْمُوتْ، وعلي مَدُّورْ من وَرْقَة، وعمر دَرْدُورْ من حِيدُوسْ، والغزالي ابن دَعَّاسْ من شِيرْ، ومحمد الأمير صَالْحِي من آرّيسْ، ومحمد بَلْعِيدِي من بَعْلِي، ومحمد ابن سعادة من غُوفِي، ومحمد رشيد صَالْحِي من آرّيسْ، ومحمد الصالح زَمُّورِي من حِيدُوسْ، ومحمد لَبْكَارَة من بُوحْمَارْ أو وَادْ الطَّاقَّة، ومحمد يَكَّنْ الْغَسِيرِيّ من غُوفِي والوردي بَلْخِيرِي من نْوَادَرْ حْمَامَة. قال الله سبحانه: "وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ"[6].

2-4/ زيارةُ ابنِ باديس لحوزِ آرّيسَ القديمةِ:

كان مكتب الجمعية على دراية بالخلفية الأنثروبولوجية لقطرِ أوراسَ، ولذلك بعد عامين من تأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين؛ في عام 1933م زار عبد الحميد بن باديس الزاوية الدَّرْدُورِيَّةَ في حِيدُوسْ، واستضافه عبد الرحمن الزَّمُّورِيّ؛ والد تلميذه محمد الصالح الزَّمُّورِيّ، ومحمد بن منصور بن محمد دَرْدُورْ (ت 1946م)؛ والد تلميذه عمر دَرْدُورْ؛ الذي أظهر تفوقا على أقرانه؛ فألحق بعد الاختبار بالسنة الثانية، والمكي ابن تَازَرْوَالَتْ صَالْحِي؛ والد تلميذه محمد الأمير وأخوه محمد رشيد صَالْحِي .. إلخ. والأكيد أن ابن باديس قد زار أيضا زاوية الدشرة الحمرا بآرّيس؛ ربما بعد زيارته لزاوية حِيدُوس عام 1933م.

3.4/ تأسيس عمل الجمعيةِ بحوز آرّيسَ القديمةِ:

بدأ هذا الغرس يؤتي ثماره؛ فظهرت أولى بوادر نشاط الحركة الإصلاحية في حوز آرّيس القديمة عام 1936م، وازدهر هذا النشاط بعد تأسيس الشعبة الأوراسية في أوت 1937م وكان مقرها في قرية حِيدُوسْ، واعتَمد ابنُ باديسَ لرئاستها أبرزَ تلاميذه، وهو عمر دَرْدُورْ وكان من أعضائها: أحمد بهلولي، وأحمد تيمقلين السرحانيّ، وعبد الواحد وَاحْدِي، ومحمد الأمير صالحي، وهو يومئذ بقي على تخرجه عام واحد؛ لأنه تخرج في 1938م، ومحمد رشيد صَالحِي، ومحمد الصالح زَمُّورِي، ومحمد يكن الغَسِيرِي. و6 أعضاء إضافيين آخرين.

4.4/ نشاطُ الجمعيةِ في حوزِ أرّيسَ القديمةِ:

تكونت 10 جمعيات دينية في قرى الحوز؛ يقوم عليها من يؤمنون بمبادئ الجمعية وحددت مهامها، وباشرت نشاطها، وهي:

1/ الجمعية الدينية الإسلامية الإصلاحية بوادي عبدي، ومقرها حِيدُوسْ.
2/ وبإقليم بوزينة، ومقرها أُمْ الرْحَا.
3/ وبإقليم غَسِيرَة، ومقرها غُورِي
4/ وبإقليم زَلَاطُو، ومقرها إِينُوغِيسَنْ.
5/ وبإقليم زَلَاطُو، ومقرها تْكُوت.
6/ وبإقليم الوادي الأبيض، ومقرها آرِّيس.
7/ وبإقليم مَنْعَة، ومقرها مَنْعَة.
8/ وبإقليم شِيرْ، ومقرها مَدْرُونَة.
9/ وبإقليم مْشُونَش، ومقرها مْشُونَش.
10/ وبإقليم واد الطَّاقَّة، ومقرها بُوحْمَارْ.

كما شيدت 14 مدرسة حرة؛ موزعة على قرى حوز آريس القديمة؛ تولى التعليم فيها 34 معلما، وهي[7]:

1/ مدرسة حِيدُوسْ: تولى التعليم فيها عمر دَرْدُورْ.
2/ مدرسة أُمْ الرْحَا: تولى التعليم فيها محمد الصالح الزموري.
3/ مدرسة مَنْعَة :تولى التعليم فيها القندوز، ثم العربي الخطراوي.

4/ مدرسة بُوزِينَة: تولى التعليم فيها أحمد بهلولي.

5/ مدرسة النْوَادَر: تولى التعليم فيها إسماعيل شرفي، ثم محمد بلمنصور

6/ مدرسة آرِّيس: أسسها وشيدها محمد الأمير صالحي ومصطفى ابن بولعيد والحاج زراري والمسعود بلعقون، وتولى التعليم فيها محمد الأمير صالحي، وأخوه رشيد صالحي وبومعراف ابن حَايَة، والأخضر بَلْدِي.

7/ مدرسة غُوفِي: تولى التعليم فيها عمار بَلْجُودِي، وأحمد مِيمُونِي.

8/ مدرسة تِيفَلْفَالْ: تولى التعليم فيها أحمد يَحْيَاوِي.

9/ مدرسة مْشُونَشْ :تولى التعليم فيها عبد الواحد وَاحْدِي، ثم عمار عباس، ثم أحمد تيمقلين السرحاني، ثم عيسى الدراجي، وهو من أعضاء الجمعية.

10/ مدرسة تْكُوتْ: تولى التعليم فيها أحمد بن السعدي ميمون، ثم علي ابن المبروك، ثم إبراهيم مَزُوزِي.

11/ مدرسة إِينُوغِيسَنْ: تولى التعليم فيها محمد بن المبارك مِيهُوبِي؛ المعروف بمحمد الدراجيّ، ثم نقل إلى مسجد الْحُجَّاجْ، وخلفه عبد الحفيظ بَلْمَكِّي.

12/ مدرسة كِيمَلْ: مقرها بتَاغْلَسْيَا أقصى جنوب كيمل؛ تولى التعليم فيها أحمد تِيمْقلِّينْ السَّرْحَانِي، وبعد اضطهاده انتقل إلى الْوَجْلَة؛ شرق كِيمَلْ حوز خَنْشَلَة، والتحق به تلاميذه من حوز آرّيس.

13/ مدرسة شِيرْ: تولى التعليم فيها محمد الهاشمي دردور، ثم الوردي بلخيري، ثم محمد سعد السعود واحدي.

14/ مدرسة إِيشَمُّولْ: مقرها الْحُجَّاجْ؛ تولى التعليم فيها مولود الزريبيّ؛ قبل الجمعية، والمْحَمَّدْ القبايلي، ومحمود ابن المبروك، والطيب زموري، ومدني عيلان، ومحمد بلغرور، ومحمد الدراجي ميهوبي إلى قيام الثورة.

ومن الوسائل التي اعتمدتها الجمعية لتمرير رسالتها الإصلاحية لعامة الشعب النوادي الثقافية؛ فأسست الشعبةُ الأوراسيةُ 8 نوادٍ، وهي:

1/ نادي الشباب في حِيدُوسَ.

2/ نادي الإرشاد في أُمْ الرْحَا.

3/ نادي الإصلاح في نْوَادَر.

4/ نادي الاتحاد في أولاد عَزُّوز.
5/ نادي الإرشاد في آرِّيسَ.
6/ نادي التقدم في مَنْعَة.
7/ نادي الإصلاح في تَاقُوسَتْ.
8/ نادي تِيفَلْفَال في تِيفَلْفَالْ[8].

ولازال المتعاقبون على رئاسة الجمعية يتابعون عمل الشعبة الأوراسية، ويشجعون معتميها، ويتتبعون أخبارهم عن طريق الرسائل التي كانوا يتراسلونها.

5.4/ موقفُ الاحتلالِ من نشاطِ الجمعيةِ في حوزِ آرّيسَ القديمةِ:

كانت الإدارة الفرنسية معادية للعمل الإصلاحيّ ورجاله، وبذل حاكم حوز آريس القديمة ليون مسكتيلي (1933 – 1939م) (جهودا كبيرة لوقف نشاط شعبة الجمعية ومؤسساتها، وذلك بتجنيد بياذقه من حراس الغابات، والقومية والقياد؛ الذين تصدوا لكتابة التقارير المزورة عن نشاطات رجال الإصلاح، وتأويل محاضراتهم وخطبهم ودروسهم في المساجد والنوادي، واتخاذها مبررا للقبض عليهم؛ بتهمة تحريض السكان على العصيان وعدم دفع الضرائب، وشتم موظفي السلطة المحلية، ومناهضة الاستعمار ... إلخ، واتخذوها ذريعة للمبالغة في تطبيق القوانين التعسفية على الأهالي، وإرهاقهم بالمحاكمة والتخويف والمداهمة والسجن والسخرة والمصادرة والتصفية والتعنيف والتغريم والتفتيش والقمع ... إلخ ومن ذلك خروج فرقة عسكرية من باتنة للقيام بمناورات؛ مرورا بواد الطاقة، ثم لما بلغت واد عبدي صوبت مدافعها تجاه قرية حيدوس، ثم اتجه قائد العملية برتبة رائد ممتطيا فرسه بحرسه إلى قرية حيدوس، ووقف أمام نادي الجمعية في تجبر وكبرياء، وحاول استفزاز السكان كلاميا ليردوا عليه؛ فيتخذه سببا لضربهم والانتقام منهم؛ سوى أنهم دارَوه حتى انصرف وواصلت الفرقة طريقها إلى منعة، وكذلك كان الأمر في زاوية ابن عباس. وأوعز الحاكم إلى عملائه باغتيال عمر دردور ومحمد الأمير صالحي ومحمد بلحسين ابن عباس؛ فأرسل فرقة من "القومية"؛ انطلقت من آريس إلى حيدوس، وأخرى إلى الدشرة الحمرا؛ فأطلقوا النار في الهواء تمويها؛ بوصية من قايد دوار الواد الأبيض علي مَرْشِي، وواصلت الفرقة المتجهة إلى

حيدوس طريقها إلى منعة؛ سوى أن قايد دوار واد عبدي؛ حذر ابن عباس؛ فخرج من منعة هاربا، وتخفى في أم الرخا عند ابن عمه سِي حَمَّة طابة، ثم غادر إلى باتنة .وقبض على عمر دردور يوم 19 أكتوبر 1937م، وحوكم يوم 06 جوان 1938م، وسجن 4 أشهر، وغرم بـ 8000 فرنك. وألزم أحمد تيمقلين السرحاني بالإقامة الجبرية في آرّيس.كما صدر قرار من حاكم الحوز بمنع محمد الدَّرَّاجِي مِيهُوبِي من التدريس بإِينُوغِيسَنْ؛ من مواطن عرش بني بُوسْلِيمَان؛ شمال شرق آرّيس. وصدر قرار بمنع عمار بن الجُودِي من التدريس بجامع غُوفِي شمال شرق بسكرة، وغُرم بـ .15 فرنك. وأصدر حاكم آرّيس قرارا بغلق كُتَّابٍ كان يُدَرِّسُ فيه إبراهيم ابن بَخُّوشْ. ومنع محمد الصالح بن عبد الرحمن الزَّمُّورِي من التدريس ... إلخ. وفي عام 1938م حكمت محكمة باتنة بـ 15 يوما سجنا في حق عبد الواحد واحدي بتهمة شتم "قَايَدْ" الناحية. واتهم عبد الواحد واحدي عام 1939م بفتح مدرسة قرآنية دون تصريح في مْشُونَشْ شمال بسكرة ... إلخ[9].

ولما فشلت هذه السياسة صدر قرار تحويل الحاكم ليون مسكتيلي، وتعيين نائبه فيري لوسيان حاكما جديدا لحوز آريس؛ أواخر عام 1939م؛ الذي أسلم على يد شيخ زاوية تيبرماسين، وخفف وطأة الأعمال القمعية على السكان، ورجال الحركة الإصلاحيّ.

وحسب رسالة من رئيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين محمد البشير الإبراهيمي إلى رئيس شعبة الأوراس عمر دردور؛ مؤرخة في "قسنطينة يوم 11 رجب (1367هـ- 1948م) أن حاكم آريس عطّل التعليم في مدرسة التربية والتعليم؛ التي كان يديرها ويدرس فيها محمد الأمير صالحي؛ من عام 1947 إلى 1954م. وكان هذا هو ديدن الاستعمار في كل القطر الجزائريّ؛ حتى قيام الثورة التحريرية.

6- ثورة سكان حوز آرّيس القديمة على الفرنسيين:

بدأ دَفْعُ سكان آرّيس القديمة للاستعمار مبكرا؛ حينما قرر الفرنسيون دخول أوراسَ ودامت الحملة شهري ماي وجوان عام 1845م، ومن تلك الوقائع اشتباك حِيدُوس بوادي عَبْدِي وثْنِيَّةْ الْعَابَد وفَجْ الْقَاضِي، وذلك بتاريخ 20 ماي 1945م. ثم استمر دفاع سكان أوراس برفض تأدية الضرائب وطاعة الْقُيَّاد، فشَنَّ الفرنسيون غارة أخراة سنة 1848م

لإخضاع قبائل أوراس المساندة لثورة الزْعَاطْشَة، ومنهم قبائل أولاد عَبْدِي، وإذا كانت انتفاضة واحة الْعَامْرِي عام 1876م قد شارك فيها أفراد قلة من أولاد عَبْدِي فإن ثورة 1871م شملت كل قبائل أوراس، ومنهم سكان قرية تَاقُوسْتْ السفلية والعلوية أي: الْبَيْضَا والْحَمْرَا؛ بالقرب من أُمْ الْرْخَا بوادي بُوزِينَة؛ الذين أعلنوا العصيان؛ فالخلفية التاريخية لسكان أوراس؛ من تحررهم ورفضهم للسلطة العثمانية – التي يشتركون معها في أول وأكبر مقوم للأمة وهو الدين الإسلامي – ورفضهم أداء الضرائب لها، والتكوينُ الطبيعيّ، وهو البنية الجيولوجية الحصينة لموطنهم، والتكوينُ النفسيّ الذي هو انعكاس صادق للبيئة الطبيعية للإنسان الأوراسيّ، وحضور الطريقة الرحمانية الداعية للجهاد وشيوخها؛ خاصة سِي الصادق بلحاج 1790– 1862م؛ الذي تلقى عن محمد ابن عَزُّوز، ثم أسس زاوية سيدي مَصْمُودِي، والذي قام بالثورة من مارس 1844 إلى جانفي 1859م، ودعا الهاشمي بن علي دَرْدُورْ أتباعه ومريديه إلى رفض طاعة شيوخ الإدارة الفرنسية وقُيَّادِهَا، وعدم التقاضي عند قضاتها، وامتثال أوامره وطاعته هو فقط، وبعد ثورة محمد أَمَزْيَانْ ابن عبد الرحمن ابن جَارَ الله أو بُوبَرْمَة في جوان 1879م؛ الذي تخرج من زاوية تِيبَرْمَاسِينْ؛ التي خلفت زاوية سيدي مَصْمُودِي، وقد أُحرقت بعد ثورة 1859م؛ قبض على الهاشمي دَرْدُورْ في أكتوبر من نفس العام، وعلى 3 من مقدميه، وهم: عمر بن يوسف مقدم الطريقة الدَّرْدُورِيَّةِ بقرية حِيدُوس، وبوبكر بن خالد مقدم اثْلَاثْ، ومحمد أَمَزْيَانْ مقدم نَارَة، ونفوا جميعا إلى جزيرة كورسيكا، ولم يفرج عنهم إلا بعد عام 1883م، وموقعُ أوراسَ ومجاورته للجنوب التُّونُسِي بمنطقة تُوزَّرْ والجْرِيدْ وقَفْصَة ونَفْطَة؛ فهذه خمسة عوامل تفسر لنا مجتمعة حركات الدَّفْعِ أو التدافع المتتالية ضد الفرنسيين والْقُيَّاد في أوراس[10].

وفي الفترة الممتدة ما بين 1947– 1954م عمل فيها أبناء الحركة الوطنية بطوائفهم في أوراسَ على نشر الوعي القومي، والدعاية للثورة، وجمع الاشتراكات لشراء الأسلحة وتخزينها في المخابئ، وتشكيل الخلايا السرية، وتدريب المجندين؛ الذين كانوا اللبنة الأولى للثورة التحريرية. وكان هذا النشاط معلوما واضحا عند الفرنسيين؛ فأكثر من قرن من الدراسات الأنثروبولوجية كانت كافية لفهم دور الزوايا وشيوخها؛ من تثبيتٍ للقيم الإسلامية

وتكريسِ العداءِ للمستعمر؛ "فَفي بداية سنة 1955 نشر جان سرفيه أحد أولئك الأنثروبولوجيين بأوراسَ مقالات في جريدة لوموند الباريسية؛ تناول فيها الوضع في أوراسَ وفسر الثورة بأنها وليدة التعصب الديني الذي زرعه العلماء المسلمون في الأهالي".

وإن كانت ظروف الثورة قلصت كثيرا من حضور عمل الجمعية فإن رجالها أدَّوا واجباتهم؛ كل على الثغر الذي هو عليه؛ حتى بعد الاستقلال تجند معلموها لثورة البناء.

خاتمة:

من دراسة المشهد الثقافيّ في حَوْزِ آرّيسَ القديمةِ بأوراسَ؛ من بداية الاحتلال الفرنسيّ للجزائر سنة 1830م؛ إلى الثورة عليه عام 1954م، ودوره في التدافع الحضاريّ؛ بيننا نحن والآخر؛ أستنتج أنه كان للعمل الدعويّ والإصلاحيّ لشيوخ الزوايا؛ خاصة الطريقة الصوفية الرحمانية، ثم جهودُ جمعية العلماء المسلمين الجزائريين؛ في النصف الأول من القرن 20م دورٌ رئيسٌ في المحافظة على مقومات الأمة، وهي الدين الإسلاميّ، واللسان العربيّ وتاريخ الحضارة الإسلامية؛ فوَرَّثَ التعليم الشرعيّ والتربية الروحية لتلك المدارس وعيا في الفكر، واستقامة في السلوك لدى المريدين والطلبة في إقليم آرّيسَ من أَوْرَاسَ؛ فقاموا بالمقاومات الشعبية على الاستعمار الفرنسيّ؛ الذي جاء بسياسة الإبادة، ومسخ الهوية الوطنية ... إلخ؛ فثار عليه سكان هذا الإقليم رفضا لظلمه، ورفعا لجرمه وقهره، وشوقا للحرية، ثم أثمرت التربية والتعليم ثورة 1 نوفمبر 1954 المجيدة؛ ثم الاستقلال في 5 جويلية 1962 تأكيدا لقوانين التدافع والغلبة والتغيير ... إلخ. وأستنتج أن علماء الهداية الشرعية بما يمتازون به من مفاتيح القوة؛ بصيرةً في الدين، وثباتا على الحق، ورساليةً في الحياة ... إلخ؛ أهلتهم للقيام بوظائفَ مهمةٍ منها: المرجعيةُ الشرعيةُ، والقدوةُ السلوكيةُ، والقيادةُ الاجتماعيةُ والمرابطةُ على ذلك كله؛ بحبس النفس وتسبيلها ونذرها ووقفها على هذه الوظائف؛ لهم دور مهم في حركة الاستخلاف، وأن عرقلتهم أو إقصاءهم أو إهمالهم أو توجيههم ... إلخ من القاعدة الشعبية أو السلطة الحاكمة له نتائج وخيمة على الأفراد والمجتمعات والأمة.

الهوامش والإحالات

(1)– ينظر: آسيا علوي، سامية دردوري، الزوايا الصوفية ودورها في المحافظة على الشخصية الوطنية، الزوايا في الأوراس بين الأمس واليوم الزاوية الدردورية أنموذجا، الملتقى الوطني العاشر (بسكرة عبر التاريخ)، إصدارات الجمعية الخلدونية، 2015، ص: 209.

(2)– ينظر: لحسن بن علجية، الشيخ عمر دردور سيرة ومسيرة، دار الهدى، الجزائر، 2014. ص: 16 موا بعدها.

(3)– المرجع نفسه.

(4)– ينظر: إسماعيل خنفوق، دور الطرق الصوفية في منطقة الأوراس 1844–1931، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، قسم التاريخ، جامعة باتنة، 2010 – 2011 ص: 50 وما بعدها.

(5)– المرجع نفسه.

(6)– التوبة، 122.

(7)– ينظر: محمود الواعي، الحركة الإصلاحية السياسية في الأوراس في عهد الاحتلال الفرنسي، ص: 246 وما بعدها.

(8)– المرجع نفسه. ص 249.

(9)– المرجع نفسه. ص 261 وما بعدها.

(10)– للمزيد ينظر:

محمود الواعي، الحركة الإصلاحية السياسية في الأوراس في عهد الاحتلال الفرنسي ص 261 وما بعدها.

محمد العيد مطمر، الغزو والاحتلال الفرنسي للأوراس وأثره على الحالة الاجتماعية لسكان المنطقة، مجلة العلوم الإنسانية، جامعة بسكرة ع10، نوفمبر 2006.